البنى التداولية للعملية التعليمية
دراسة في أهمية التواصل.

Pragmatic structures of the educational process
.A study on the importance of communication

الباحثة: مبدوعة كريمة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)

تاريخ الإيداع: 2024/10/01	تاريخ القبول: 2025/02/06	تاريخ النشر: 2025/03/15

ملخص:

البنى التّداوليّة للعمليّة التّعلّمية أو عناصر التّداوليّة للتّواصل تفيد في تعليميّة اللغة كمبحث لساني، وتجلّياتها فيها (أفعال الكلام، الإشاريات، الاستلزام الحواري)، فقد استفادت التّعلّيميّة من تواصليّة اللّغة، بحيث أنّ عمليّة التّعليم تقوم على التّواصل بين المعلّم والمتعلّم في سياق محدّد بغية الوصول إلى المعنى الصّحيح في رسالة ما. وتطبيق هذا العنصر التّداولي أي التواصل مع تنمية الكفاءة اللغوية لمهاراته وتعزيز استجابات المتعلّمين وإدارة المناقشة الجماعيّة هو الذي ينجح العمليّة التّعليميّة، ووسيلة لتطوير المهارات والكفاءات فنجاح التواصل من نجاح العمليّة التّعليميّة، ذلك أنّ المقاربة التّداوليّة هي السّبيل الأنجع في التّعليم، فهي توفّر المعارف وتدرّب المتعلّم على التّعلّم في ظل التّواصل والاستعمال والتّداول والتّبادل بين المعلّم والمتعلّم وفق قواعد اللّسانيات التّداوليّة التي يؤدّي إلى تطبيقها إلى رسوخ المحتوى التّعليمي في ذهن المتعلّم، وظهوره في سلوكه قولا، وفعلا على أساس أنّ اللغة وسيلة لتحصيل المعارف، وهي رافد لكل العلوم.

الكلمات المفتاحية: تعليمية اللغة، المقاربة التداولية، التواصل، العملية التعليمية.

Abstract;

The deliberative structures of the learning process or the deliberative elements of communication are useful in teaching the language as a linguistic study, and its manifestations in it (speech verbs, indices, dialogical imperatives). Correct in a message. The application of this deliberative element, i.e., communication with the development of the linguistic competence of his skills, the strengthening of learners' responses and the management of group discussion is what succeeds the educational process, and a means of developing skills and

competencies. The success of communication is part of the success of the educational process. Learning in the light of communication, use, deliberation and exchange between the teacher and the learner according to the rules of deliberative linguistics, whose application leads to the consolidation of the educational content in the mind of the learner, and its appearance in his behavior in word and deed, on the basis that language is a means of acquiring knowledge, and it is a tributary of all sciences.

***key words**: Teaching language; pragmatic approach; communication; Educational process.*

تدرس التّداوليّة المعنى في ضوء علاقته بموقف الكلام، حيث تتعامل مع اللّغة التّطبيقيّة الملموسة، فهي تتحدّث عن الوظيفة بدلا من المعنى المقصود، أي علاقة العلامة بمستعملها أو استعمال اللغة على أرض الواقع، فالتّركيب اللّغوي مثلا يعني دراسة العلاقات الشّكليّة بين العلامات، وتعليم الدّلالة يعني دراسة علاقة العلامات بمؤهّليها، وتتطلّب هذه الدّراسات الإشارة إلى استعمالات العلامات بدلا من الدّراسة المجرّدة وما تفيده الدّراسة التّداوليّة في الصّعوبات الاتّصاليّة في المواجهات التي تظهر في اللّقاءات التي لا يتقابل فيها المتواصلون.

إنّ علاقة التّداوليّة بالتّعليميّة يفسّرها الاستعمال اللّغوي وضرورة ربط المدرسة بالحياة اليوميّة، والبحث عن أنجع الطّرق لنقل المعارف المجرّة إلى معارف مطبّقة في الحياة، والبعد التّداولي للعمليّة التّعليمية خاصة في مجال التّواصل اللّغوي الذي هو أساس العمليّة التّعليميّة، فهو يسمح بتحويل المعرفة بسهولة ويسر، لأن التّواصل له قدرات عجيبة في الاستعمال اللّغوي من قِبل المتكلِّم، لأن المعنى الذي تنقله اللّغة لا يصير ملموسا إلاّ إذا استعمل.

وهدفنا من هذه الدّراسة هو تناول العمليّة التّعليميّة في علاقاتها مع التّواصل والتّركيز على المعلّم والمتعلّم والسّياق بدلا من عزل الخطاب عن السّياق، إذ أنّ العمليّة التّعليميّة تشترك في وجود متعلّمين ضمن وضعيّة تعليميّة أو ضمن وضعيّة تواصليّة التي لابد من شروط لازمة لقيامها وتأسيسها، وهذه الشّروط تتمثّل في قطبي التّواصل: المعلّم والمتعلّم، أو المتكلّم والمتلقّي، وهذه العمليّة لا تتم إلا ضمن قناة وهي محور العمليّة التّعليميّة، وهو المحتوى التّعليمي، حيث تحوّل المادة العلميّة من قِبل المعلّم إلى مادة تعليميّة توجّه إلى المتعلّم.

1- تعليميّة اللّغة:

تتفرّع اللّسانيات إلى فرعين؛ اللسانيات النّظريّة التي تحلّل اللّغة وتصفها باعتبارها ظاهرة إنسانيّة، واللّسانيات التّطبيقيّة التي تطبّق ما وصل إليه علم اللّغة النّظري من نتائج وأساليب في تحليل اللّغة، وكذا استعمال النّتائج العلميّة في ميادين أخرى أهمّها حقل تعليميّة اللّغات، فاللّسانيات التّطبيقيّة تحوّل الحقائق الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة المجرّدة إلى إستراتيجيّة تتمثّل في مقرّر

تعليمي، من حيث المعلّم وإعداده والهدف من المقرّر واختيار المادة التّعليميّة، ومن أهم فروعه علم اللّغة التّعليمي.

إنّ التّعليميّة وسيلة إجرائيّة وممارسة بيداغوجيّة تهدف إلى تنميّة قدرات المتعلّم قصد إكسابه المهارات الفكريّة واللّغوية ونظام قاعدي للّغة المدروسة[1]، إلا أنّ إكساب المتعلّم المهارة الشّفوية هي المبدأ الأساسي في التّعليميّة لتحقيق الممارسة الفعليّة للبحث اللغوي على اعتبار التّعليمية دراسة علميّة لطرق التّدريس وتقنياته وفق إستراتيجيّة تعليميّة تعلّميّة، فهي تركّز على دراسة أنجع الطّرق في تحصيل المعارف[2]، كما أنها مجموعة حقائق توصّل إليها العقل البشري عن طريق التّجربة، والهدف الإجرائي هو صياغة لعبارات دالّة على سلوك المتعلّم في أثناء أو آخر الدّرس وفق مقاييس تقويميّة معيّنة[3]، إذ تتنوّع النّتاجات بتنوّع مجالات التّعلّم، وفي ذات المقام يرى "جون ديوي" و"كلا باريد" ضرورة الاهتمام بالجانب الوجداني الانفعالي في العمليّة التّعليميّة (الإدراك، الميل ،الاستجابة، التّكيّف والإبداع).[4]

انطلاقا من هذا فإنّ العمليّة التّعليميّة تجمع بين فنّين هما:[5]

- فنّ التّعلّم: وهو إدراك المتعلّم لموضوع ما بهدف اكتساب المعارف والخبرات.
- فنّ التّعليم: وهو نشاط مستمر يهدف إلى توظيف الفعل التّواصلي لتحقيق هدف معيّن.

إنّ المتعلّم يتعلّم نتيجة التّعليم، فعمليّة التّعلّم هي نتيجة لعمليّة التّعليم، حيث ترتكز عمليّة التّعليم على جعل المتعلّم يشارك ويتفاعل إيجابا مع برنامج المادّة التّعليمية قصد اكتساب مهارات مختلفة، فالمتعلّم يزداد تعلّما بفنّ التّعلّم، فالعمليّة التّعليمية مرتبطة أيّما ارتباط بالتّعلّم من خلال مجموعة من التّرابطات العلائقيّة، حيث يُعنى بالعمليّة التّعليميّة في مجال البحث كل تأثير يُحدِث تغييرات في الآخر بفضل وسائل تصوّريّة معقولة أي بالطريقة التي تجعل من الأشياء والأحداث ذات مغزى بالنسبة للأفراد[6]

1-1العمليّة التّعليميّة:

تعرف العمليّة التّعليميّة عند علماء التّعليم بأنها ما يقوم به المعلّم من إجراءات ونشاطات داخل قاعة الدّرس، وتسعى إلى تحقيق أهداف تعليميّة معيّنة، فهي بهذا المفهوم هي عمليّة التّدريس نفسها، في حين إذا ذهبنا إلى علماء تصميم التّعليم وتنظيمه فهم يعتبرون العمليّة التّعليميّة أنها عمليّة تنظيميّة للإجراءات التي يقوم بها المتعلّم داخل حجرة الدّراسة، وذلك عند عرضه للمادّة الدّراسية وتسلسله في الشّرح، فالعمليّة التّعليميّة في الحقيقة ما هي إلا تنظيم لمحتوى المادة المدروسة، والتي غالبا ما تأخذ شكل التّسلسل الهرمي".[7]

إنّ العمليّة التّعلّميّة كما يراها بعض الباحثين تتحدّد من وجهتين:

- عمليّة التّعليم بشكل عام: وهي عمليّة مدروسة تتحوّل فيها الأهداف التّعليميّة (بعد مدّة زمنيّة)، وبمساعدة المعلّم إلى نتائج ملموسة قد تكون معلومات جديدة أو مهارات أو اتّجاهات، وذلك نتيجة لما يقوم به المتعلّم داخل قاعة الدّرس من إجراءات ونشاطات وتدريب وتعزيز وتقويم.

- عمليّة التّعليم بشكل خاص: هي الطّريقة التي تتّفق وطريقة تنظيم المحتوى التّعليمي في الكتاب المدرسي، ففيها يتدرّج المعلّم في شرحه للمعلومات المراد تدريسها، ويتسلسل بها من السّهل إلى الصّعب، ومن البسيط إلى المركّب، إلى أن تتحقّق الأهداف المنشودة في أقلّ وقت وجهد ممكنين.

2.1 تعريف التّواصل:

يتم التّواصل به شفاهيا أو كتابيا ليبلغ الآخر معرفة معيّنة كان قد حصل عليها، ومن أساليبه الإشارة أو الحركة، فهو عمليّة اجتماعيّة تؤسّس العلاقات بين أفراد المجتمع، ويتم بواسطتها تبادل الخبرات والأفكار وتناقلها بينهم، وإقامة علاقة تراسل وتواصل، ويفترض مرسِلا ومرسَلٌ إليه، ومتلقّي ورسالة وشفرة يتّفق فيها المتكلّم والمستمع، وسياقا مرجعيا و مقصديّة الرّسالة، ويمكن تعريفه من النّاحيّة التّطبيقيّة على انه تجميع لجملة من الأساليب التّقنيّة التي تهدف إلى وضع معايير لمراقبة إجراءات عمليّة نقل المعرفة ليصبح المتعلّم قادرا على الإنتاج.

3.1عناصر عملية التّعليم:

أ/ المعلّم: هو قطب العمليّة التعليمية وهو العنصر الأكثر قوّة على التّفاعل مع عناصر المنهاج التّعليمي، كما أنه طرف يسهم في تحقيق العمليّة التّعليميّة، ويشترط فيه الكفاءة اللّغوية، مهارة تعليم اللّغة، الرّغبة في التّدريس المعرفة الكافيّة.

أما أهم واجبات المعلّم في التّعليم فهي امتلاك الإطار التّواصلي على أساس أنّ عملية التّعليم عبارة عن نشاط تواصلي يقوم على أسس نفسيّة وتربويّة، ويرتبط بنقل المعارف إلى فئات تختلف من حيث الفروق الفرديّة".[8]

إنّ التّواصل التّربوي أساس تحقيق العمليّة التّعلّميّة، ولن يأتي ذلك إلا من خلال فتح باب الحوار والمناقشة وما يصدر عنهما من سلوكات لفظيّة وعمليّة، سواء بين المعلّم والمتعلّمين أو بين المتعلّمين أنفسهم، وهو ما يصطلح عليه بالتّواصل الإجرائي، وهو مرهون بمهمّة المعلّم باعتباره الأساس في موقف المتعلّم من خلال:

*** امتلاك الإطار التّواصلي:**

إنّ التّعليم لقاء بين خبرة المعلّم وخبرة المتعلّم المحدودة، فالتّواصل التّعليمي عمليّة يخدم فيها الطّرفان بعضهما البعض، فالمعلّم لا يوجّه المعلّمين فحسب وإنما يتعلّم منها، ويستخدم ما تعلّمه كأساس لتعديل وتقويم سلوكه، فالسّلوك اللّفظي في الفعل التّواصلي مهم جدا في العمليّة التّعليميّة ومعرفة المعلّم الغرض من الاتصال يعتبر من اهم أسس الاتصال البيداغوجي التّربوي، والسّلوك اللّفظي للمعلّمة مهم جدا في إدارة السّلوك اللّفظي للمتعلّم.

ب/ المتعلّم:

هو العنصر الأساسي والفعّال في تحقيق وإنجاح العمليّة التّعليميّة، لأن عمليّة التّعليم في أنجع سبلها هيتواصل ناجع من معلّم ومتعلّم، لكن يجب أن يتوفّر فيه النّضج أي النمو العقلي والجسدي، لأن إغفال جانب النّضج يؤثر سلبا على الحصيلة المعرفيّة للمتعلّم، بالإضافة إلى شرط امتلاك الفهم أي

القدرات الفكريّة واللّغوية، لأن العمليّة التّعليميّة عمليّة تواصليّة من سننها التّجانس والاشتراك اللّغوي بين المعلّم والمتعلّم حتى يحدث الفهم والإدراك، كما يشترط في المتعلّم التّهيؤ النّفسي والعضوي لتلقّي المعرفة لاكتساب المهارات مع الانتباه والاستيعاب الجيّد للدّرس.

ج/ طريقة عرض المادة:

هي الإجراء العلمي المنظّم الذي يهدف إلى تحقيق الغاية التّواصلية لعمليّة التّعلّم بأيسر السّبل، وهي الوسيلة التي تنقل المعارف إلى الأذهان بأساليب علميّة وفنّية صحيحة، وتمثّل عنصرا اتّحاديا في مجموعة متحرّكة متناسقة تمثل التعليمي الجهاز ككل[9]، هذه العمليّة أو الطّريقة أو المنهج يجب أن يرتكز على مجموعة من العناصر البيداغوجيّة[10]، وهي اختيار المادّة التّعليميّة التي تتلاءم مع المستويات الإدراكيّة للمتعلّم، ثمّ التّدرّج الفكري للعقل البشري، مع تدعيم ولدرس بتمارين لغويّة تطبيقيّة الذي يسمح للمتعلّم امتلاك قدرات للممارسة الفعليّة للحدث اللّغوي وتنميّة القدرة الإبداعيّة له.

من خلال هذه العناصر نستخلص أنّ التّعليميّة تهتم باكتساب المعارف ومعالجة محتويات المعرفة من خلال توفّر العناصر المذكورة سابقا، فهي حقل من الحقول العلميّة يدرس التّعليم من خلال محتوياته وطريقة دراسته علمية، فهي تهتم بالمتعلّم والمعلّم والطّريقة التّعليميّة تفيد التّداوليّة الدّرس اللّغوي من جوانب شتّى أهمّها:

- تواصليّة اللّغة لأن عمليّة التّعليم في أنجع سبلها هي تواصل ناجح بين المعلّم و المتعلّم، ينهض على تكاتف جهود كل من الطّرفين في خلق الإقناع والتّأثير والتّثقيف والتّشويق والإعجاب.
- أفعال الكلام، فلابد للمعلّم أن يمرّن متعلّميه على التّفريق بين الأفعال التّقريريّة والأفعال الإنجازيّة في الخطاب التّعليمي المتّصل بقواعد التّداوليّة (الكمّية، النّوعيّة، الهيئة) بغية نجاح الفعل التّعليمي التّعلّمي للدّرس اللّغوي.

إنّ التّداولية لها دور كبير في العمليّة التّعليميّة خاصة مهارة التّواصل بالنّسبة للمعلّم والعلاقة التّواصليّة بين المعلّم والمتعلّم واكتساب المعرفة الكافية من حيث اكتساب القواعد والمعايير التي تحكم التّوقيت الملائم للتّخاطب، ومن هذا فإنّ السّؤال المطروح هو: ما هو دور التّداوليّة في العمليّة التّعليميّة؟ أو بالأحرى ما هي المنطلقات اللّغويّة التّداوليّة في تدريس مهارات التّواصل؟ وما هو الدّور الذي اكتسبه المتعلّم من خلال التّواصل اللّغوي وعلى أساس البعد التّواصلي؟

2- تعريف التّداوليّة:

هي دراسة اللّغة في سياق استعمالها، أو دراسة المعنى في ظلّ السّياق، أو هي دراسة المعنى التّواصلي أو معنى المرسل في كيفيّة قدرته على إفهام المرسل إليه[11] بدرجة تتجاوز معنى ما قاله، كما تعرف التّداوليّة في سياق الاهتمام بالمرسل فهي تعرّف على أنها: كيفيّة إدراك المعايير والمبادئ التي توجّه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللّغوية، في ضوء عناصر السّياق، بما يكفل ضمان توفيق المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه، وتعرف أيضا على أنها

العلم الذي يعنى بالشّروط اللازمة لكي تكون الأفعال اللّغوية مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التّواصلي الذي يتحدّث فيه المتكلّم.

- مجال استعمال اللّغة في التّواصل والمعرفة، فهي مبحث لساني يدرس علاقة النّشاط اللّغوي بمستعمليه، وطرائق استخدام العلامات اللّغويّة بنجاح وكيفيّاته والسّياقات والطّبقات المقاميّة المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصليّة واضحة، والبحث في أسباب الفشل في التّواصل باللغات.

من خلال هذه التّعريفات وكما يذكر الباحثون عن تعريف التّداوليّة فإنّ أشمل تعريف لها هو دراسة اللّغة في الاستعمال أو في التّواصل، لأنه يشير إلى أنّ المعنى ليس متأصّلا في الكلمات المجرّدة ولا يرتبط بالمتكلّم وحده ولا السّامع فقط، وإنما يتمثّل في تداول اللّغة بين مرسل ومستقبل في سياق محدّد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.

إنّ التّداوليّة منهج يصلح لقراءة النّصوص وإجراء المقاربات التي من شأنها أن توصل القارئ إلى فهم فعلي أعمق للنّص وتعالقاته وقيّمه، وهي تتعلّق بتحليل الخطاب ولسانيات النّص، والخطاب غالبا ما يرتكز على الثّنائيّة (مرسل- مستقبِل) شانه شان العمليّة التّعليمية التي تقوم أيضا على ثنائيّة (المعلّم- المتعلّم) المعلّم باعتباره مرسِلا والمتعلّم باعتباره مستقبِلا، على تداول الخبرات والمعارف وتبادل الأدوار.

هذا هو الشّكل الذي يطغى على الخطاب التّعليمي الذي يتم وفق عمليّة التّواصل القائمة على الإلقاء والتّلقّي والتي تعدّ أساس المقاربة التّداوليّة.

إنّ اللّسانيات التّداولية قد فرضت نفسها كمنهج لقراءة النّصوص الأدبيّة وتحليل الخطابات التّواصليّة بين الملقي والمتلقّي، كما أنها قد أحدثت الأثر الأكبر في التّعليميّة، وذلك باعتبار التّداوليّة تبحث في كيفيّة تأويل الخطاب، وكذا في علاقته بالمرسل والمرسل إليه، وتبحث عن العلاقات التي تربط اللّغوية بمستخدميها، أي الأفعال الكلاميّة التّواصليّة (متكلّم- مستمع)، وعمليّة التّعليم تقوم على التّواصل بين معلّم ومتعلّم، وتستغل المواقف الكلاميّة مما يجعل التّداوليّة كمبحث لساني في العمليّة التّعليميّة على اعتبار التّداوليّة تدرّب المتعلّم على تعلّم اللغة في ظلّ الاستعمال والتّواصل بأفعال تقريريّة تارة وبأفعال إنجازيّة تارة أخرى على التبادل والتّداول بين المعلّم والمتعلّم، وفق مبادئ تجمع بين الكمّيّة والكيفية والهيئة والتّعاون.

3 ـ التّواصل والعمليّة التّعليميّة:

إنّ الحديث عن التّواصل يؤدّي إلى الحديث عن التّداولية، لأن مستخدم اللّغة يوظّف عدّة لآليات منطقيّة وغير منطقيّة في استخدام الكلام وفهمه وتحليله وتحويله، فهذه الآليات يتحقق التّواصل اللساني، وكلّما اختار المرسل ما يناسب هذه الآليات كان لخطابه وقع على المرسل إليه، وهو الأمر نفسه في العمليّة التّعليميّة، لأنّ اللّغة ممارسة فعل، والفعل هو أحد المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها التداولية في أبعادها الحجاجيّة التي تهدف إلى تحقيق أغراض بلاغيّة وإقناعيّة

ومقصديّة[12] معيّنة، وتقابلها المقبولية، بحيث تتحقّق القصديّة لدى المنتج المتكلّم، وتتحقق المقبوليّة لدى السامع المتلقّي، الذي تكون لديه رغبة في معرفة وصيانة المفاهيم التي يتلقاها، فاللغة بهذا المعنى هي القيام بأفعال قصد التّأثير، مما يتطلّب فهمها وتحليلها، ومن خلال هذا يمكن أن نتعرّض إلى العناصر التّداوليّة في العمليّة التّعليميّة مركّزين بذلك على دراسة اللّغة لنظام التّواصل الفعّال ممثّلا في أفعال الكلام وأشكال الإقناع، وشروط تحليل الخطاب الإقناعي والتّركيز على المقام الذي تحدث فيه العملية التّعليميّة.

1.3 العناصر التّداوليّة للتّواصل في العمليّة التّعليميّة:

اهتم الاتّجاه التّداولي بالفعل الكلامي والظّروف المحيطة به، حيث إن لكل فعل قيمة يكتسبها تدفع السّامع إلى القيام بشيء استجابة لما فهمه من مخاطبة، فاللغة لا تعني أنها مجرّد خطاب لغوي، بل تتجاوز التّداوليّة لدراسة ردّ فعل المرسل إليه في المرسل نفسه، ولذلك لم تكن مكتفية بالعلاقة بين المرسل والعلامة بين العلامة والمستقبل، بل يحاول دراسة العلاقات المتبادلة بين المرسل والمستقبل عبر رسالة اتّصاليّة.[13]

لقد أسهم الاتّجاه التّداولي في الاهتمام باللغة في مواقفها الحيّة، وذلك بتركيز الدّراسة على مقاصد المتكلّم، والسّياق والتّفاعلات الكلامية والمحادثات المتبادلة بين المتعلّمين.

إنّ هذا الأمر يجعل تعليم اللغة ينطلق من ثقافة المجتمع وأحواله، حيث تتم تنمية الملكات التّبليغيّة التّواصليّة لدى متعلّمي اللّغة، بمراعاة ما هم في حاجة إلى تعلّمه، تبعا لتلازم ثلاث قدرات وهي:

- قدرة نحوية وهي تضم مستوى الصّرف، النحو، المعجم، الدّلالة وتركيب اللّغة للّغة.

وقدرة سوسيو لسانية، وهي معرفة اللّغة وعلاقتها مع السّياق غير اللساني.

وقدرة إستراتيجية، وهي معرفة إستراتيجيات التواصل اللغوي وغير اللغوي، وهذا ما يسمح لهم بالتّحكم في أنظمة اللّغة والنّسق اللّغوي الاجتماعي المألوف، مع إتقان استعمال هذا النّسق في السّياقات الاجتماعية للتفاهم مع أفراد الجماعات اللغوية وتحقيق العلاقات معهم، وكسب القدرة على فهم الخطابات التي يتلقّونها، وتوظيف خطاباتهم في سياقات ملائمة.

لقد أصبح المعلّم يحتل دورا مهما في تحقيق التّواصل والمشاركة الفعليّة الواقعيّة، فتتحوّل النّظرة إلى التّعلّم ليكون عمليّة ذهنيّة تقوم على الفهم والاستيعاب بعدما كانت مجرّد قواعد تجريديّة صمّاء تحفظ عن ظهر قلب، ليتحوّل جوّ التّعليم إلى فضاء مليء بالحيويّة والنّشاط لأنه أتاح التّعلّم للمتعلّمين فرص القيام بمحاولات تعلّمية إجرائيّة وحل المشكلات ولعب الأدوار بدلا من الرّوتيني (التّلقين والفهم فقط).

من خلال ما ذكر سابقا يمكن ذكر العناصر التّداولية في العمليّة التّعلّميّة والتي أسهمت كثيرا في إنجاح هذه الأخيرة التي تُعنى بالكيفيّة التي تستعمل بها اللّغة وتطوير قدرة المتعلّم التّواصليّة وتفعيل مهاراته التّعلّميّة ودرجة فاعليته مع الاستعمالات الوظيفيّة للّغة.

1.1.3 المرسل: لنجاح عمليّة التّواصل لابد من حضور الفاعل وهو المعلّم أو المدرّس الذي هو مصدر إرسال الخطاب ومستعمل اللغة وشارحها ويلعب دور المسهل والميسّر في مجال التّعلّم.

- **امتلاك الكفاية التّواصليّة:** هي قدرة المتكلّم على معرفة وكيف يستعمل اللغة، ومعرفة ما يجب أن يقوله في ظروف معيّنة ومتى يجب عليه الكلام، إنها المعارف التي تزداد على الكفاية اللغوية الصرفة المتمثّلة في ثراء الرّصيد المعرفي عند مستعمل اللغة، وتمكّنه من قواعد لغته، والسّيطرة على المعاني ووضوح خطابه"، إنّ الكفاية التّواصلية من أهم عوامل نجاح التواصل، ولنجاح الكفاية لابد من:

أ/ استحضار المعاني وألفاظها في الذّهن: أي استحضار المعاني المراد إنشاء الخطاب فيها في الذّهن، ثم اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني التي تمّ استحضارها في الذّهن مع اختيار الوقت المناسب لبناء الخطاب، وذلك من خلال اختيار الحالات التي يكون فيها في قمّة نشاطه ويتجنّب حالات الفتور والملل أو التّشويش حتى يتم التواصل الفعلي مع المتعلّم، والإفادة بين طرفي العمليّة التّواصليّة بمراعاة المناسبة في الكلام.

- **اختيار اللفظ الملائم للقصد من المعاني**، ويتجنّب الغموض والحشو ولإطناب والاضطراب كي لا يؤدّي ذلك بالمتعلّم إلى تعقيد الخطاب حتى لا يصعِّب من تحقيق الهدف وإنجاح العمليّة التّواصليّة.

- معرفة المقام والتّفريق بين حالاته لأنه يستحضر السّامع باختيار المعاني والألفاظ في كل عمليّة تواصليّة ولو بصورة ذهنيّة، ذلك لأن وظيفة التّداوليّة تتمثل في دراسة جوانب المعنى وجوانب السّياق وتكون جزءً من قدرة المستعمل.[14]

- **العلم بالموضوع الذي يتحدّث عنه:** وذلك ما يعرف بالكفاءة العلمية كي يفيد من عمليّة التّواصل لابد من المعرفة، وهي شرط الحوار والتّأثير في المستمع، لأن المالك للمعرفة والمدرك للحقائق في الدّورة التواصليّة يكون في موقف المتحكّم في التّواصل والإرسال ونوع المعلومات التي يرسلها، لأن المقابل هو اعتراف المتلقّي بالإفادة، وإلا ليس هناك فائدة من التّعليم والتّواصل، وهي نتيجة متوقّعة من عدم اهتمام المتلقّي بالخطاب الملقى إليه وعدم اكتراثه به.

- **مهارة تعليم اللّغة:** أو ما يعرف بالكفاية اللغوية، فينبغي للمرسل امتلاك الكفاية اللغوية الصحيحة التي تشكّل جزءً أساسيا من أوجه الكفاية التّواصليّة، وهي معرفة المعلّم للنظام الذي تقوم عليه هذه اللغة من نحو وصرف وتركيب ودلالة ومعجم، ولا يكون المحاور ناطقا حقيقيا إلا إذا تكلّم لسانا طبيعيا، وحصّل تحصيلا كافيا صيغه الصّرفيّة وقواعده النّحويّة وأوجد دلالات ألفاظية وأساليبية في التّبليغ والتّعبير[15]، فالعلم بالنظام اللغوي يطبّق دون تفكير أو انتباه حتى يمكّن من إيصال المحتوى العلمي على أكمل وجه وتقويم رسالته حتى يتجنّب الإخفاق في العمليّة التّعليميّة.

- **التّحلّي بأدبيات المعاملة:** فالمعرفة العلمية لا تكفي وحدها، بل تتزامن مع أدبيات التواضع وعدم التّعالي، حيث يجب الانتباه إلى الملفوظات التي يوظّفها عند مخاطبة المتعلّم، فهي الشرارة التي تدفع

به إلى المشاركة داخل الفصل الدّراسي أو إحباط المجهود الفكري، وهذا راجع إلى طريقة المعاملة من قِبل المعلّم.

- **امتلاك التّجدّد العلمي:** ويقصد بها أن يكون المعلّم على دراية وعلم بأهم المستحدثات الخاصة بمحتوى التّعليم أو المادة المدرسيّة والاطلاع الدّائم على نتائج العلوم اللغوية الحديثة من دراسة الأصوات اللغوية، علم الصّرف، علم النّحو، علم الدّلالة، علم التّداوليّة[16]، حتى يفيد المتعلّم بكل ما هو حديث في مجال الدّراسات اللغوية أو مجال اهتمام المتعلّم، ولا يقتصر على الدّراسات القديمة كما هو الحال في مختلف العلوم الأخرى والتي يجب على المعلّم أن يكون له إطّلاع دائم وواسع على مل ما هو مستحدث حتى يفيد ويستفيد.

2.1.3- المستقبِل أو المتعلّم:

هو الذي الرّسالة ويتفاعل معها، فهو الطي ينشأ له الخطاب ومن أجله تحضّر الرّسالة، ومشاركته في الخطاب مشاركة فعّالة، وإن لم تكن مباشرة، ولنجاح العمليّة التواصليّة التعليمية لابد من توفّره على شروط أهمّها:

- معرفة المتلقّي للغة التي يستعملها المرسل، ويبث بها خطابه التّعليمي، وهي ما يعرف بامتلاك المهارة اللغوية، وتكون له قدرة على المتخيّل والتركيب.

- حسن الاستماع إلى كلام المتكلّم لأنه من عوامل نجاح العمليّة التواصليّة، والمتكلّم يجب أن ينتبه إلى المستمع ويصغي إلى كلامه.

- رؤية المتلقّي للمرسل التي تبرز حاله وهو يوجه خطابه ويمارس العمليّة التّعليميّة أي حال الخطاب لحظة حدوثه بمختلف ظروفه وما به من حيوية أو علامات دالة أخرى، فيكون بحال قدوة، فالتّعليم بالاحتذاء "هو الذي يلتئم بأن يرى المتعلّم المعلّم بحال ما في فعل أو غيره، فيتشبّه به في ذلك الشّيء أو يفعل مثل ما فعله"[17]، فرؤية المتعلّم للمعلّم أهمية كبيرة في تحقيق التّواصل والتفاعل.

كما يضاف إلى هذه الشّروط رغبة المتعلّم في التّعلّم وتشوّقه والاستفادة منه.

3.2.3 السّياق: لأجل نجاح العملية التّعليمية يجب مراعاة السّياق أو المقام، بالنسبة للمعلم فهو عون له على الإنتاج الجيّد لخطابه، كما أنّ معرفة المتعلّم هذا المقام التّواصلي عون له على التّأويل الجيّد للخطاب، والوصول إلى قصديّة المعلّم، وهو على درجتين: مقام داخل متعلّق بالمرسل من حيث مقاصده التي يريد إبلاغها للمتلقّي[18]، ومقام خارجي متعلّق بالمتلقّي من حيث درجته العلميّة والفكريّة والاجتماعية، وردود أفعاله وتشمل الرّفض والقبول، ووسيلة الاتصال التي هي المشافهة أو المكاتبة، السّياق العام، طبيعة الموضوع على ان يراعي فيها المتلقّي.

4.2.3 القناة: هي التي تحدّد نوعيّة الخطاب الموجّه للمتلقّي لأنها وسيلة تنتظم فيها إشارات النّظام أثناء العمليّة التواصليّة، وتتمثل في الصوت والأذن والهواء والكلام المستعمل والوسائل الماديّة للإشارة، ومهمّتها الرّئيسيّة قدرتها على إيصال المحتوى بتيسير الفهم والإفهام وإيصال المحتوى بشكل سليم، وذلك بمراعاة المستوى العقلي للمتلقّي، ومن أهم الوسائل المستخدمة الوسيلة المكتوبة،

الوسيلة الشّفويّة المباشرة، الوسيلة السّمعيّة، الوسيلة السّمعيّة البصريّة والوسيلة الالكترونيّة الحديثة.

5.2.3 المحتوى الفكري: أو الخطاب الذي يرغب المرسل في إيصاله إلى المتلقّي، حيث تتجلّى العمليّة التّعليميّة وفق أشكال وصور، وذلك مردّه إلى المقام الذي يكون فيه المعلّم ونوعيّة المتعلّم لهذا المحتوى العلمي والظّروف المحيطة، ويشترط فيه الدّقة في التّعبير ومراعاة أحوال المتعلّم ومطابقته للحال التي يستخدم بين متكلّم ومستمع، مع استخدام الوسيلة المناسبة لنقله فمهما كان الخطاب مؤثرا ومقنعا فإنه يتأثر كثيرا بالوسيلة التي توصله إلى المتعلّم أو المتلقّي، كما يشترك في المحتوى العلمي أن لا يكون طويلا مملا، فيستحسن تجنّب الإطناب والحشو والدّخول مباشرة في الموضوع المراد إيصاله إلى الطّرف الآخر.

إنّ توفّر هذه العناصر هو ممارسة التّواصل، والتّواصل هو أحد الأسس التي تقوم عليها التّداوليّة في أبعادها الحجاجيّة التي تهدف إلى تحقيق أغراض إبلاغيّة وإقناعيّة ومقصديّة معيّنة[19]، وتقابلها المقبولية من طرف المتعلّم، وكل هذا يهدف إلى إنجاح العمليّة التعلّميّة، فنجاح التواصل من نجاح العمليّة التّعليميّة، ذلك أنّ المقاربة التّداوليّة هي السّبيل الأنجع في التّعليم، فهي توفّر المعارف وتدرّب المتعلّم على التّعلّم في ظل التّواصل والاستعمال والتّداول والتّبادل بين المعلّم والمتعلّم وفق قواعد اللّسانيات التّداوليّة التي يؤدّي إلى تطبيقها إلى رسوخ المحتوى التّعليمي في ذهن المتعلّم، وظهوره في سلوكه قولا، وفعلا على أساس أنّ اللغة وسيلة لتحصيل المعارف، وهي رافد لكل العلوم.

إنّ التّواصل في العمليّة التّعليمية وسيلة لتطوير المهارات والكفاءات، وهو وسيلة أيضا لتجاوز الحدّ المفرد على خصوصيّة التّلميذ وحدوده، فالمعلّم يعبّر عن سلوكه وفكره الشّخصي[20]، والسّلوك الخارجي يمكن ملاحظته من خلال التّعبير اللفظي الذي يقوم به الفرد، والسلوك الدّاخلي يلاحظ من خلال معاينة نتائجه من تفكير وتذكّر وإدراك وتخيّل وغيرها، فلا يمكن ملاحظته مباشرة.

إنّ التواصل هو العلاقة بين معلّم ومتعلّم وبلوغ غاية من تلك العلاقة، فهو عمليّة تفاعل بين طرفين من خلال رسالة معيّنة أو فكرة أو خبرة أو مهارة أو أي مضمون اتّصالي عبر قنوات اتّصاليّة ينبغي أن تتناسب مع مضمون الرّسالة بصورة توضّح تفاعلا مشتركا بينهما"[21]، فتطبيق هذا العنصر التّداولي مع تنمية الكفاءة اللغوية لمهاراته وتعزيز استجابات المتعلّمين وإدارة المناقشة الجماعيّة هو الذي ينجح العمليّة التّعليميّة، وهذا التّفاعل التّعليمي يشتمل على العناصر التي ذكرناها سابقا من معلّم ومتعلّم ومادة تعليميّة وأهداف التّعلّم والمنهج، وتنظيم المعلومات وفهمها وتفسيرها.

خاتمة:

يشكّل التواصل أهمية بالغة في العمليّة التعليمية، هذه العمليّة التي تستند إلى البحوث التّداوليّة التي أسهمت في مراجعة مناهج التّعليم، وعدّت البعد التّداولي للّغة احد أهداف العمليّة

التعلّميّة، أو ما يعرف بالبنى التّداوليّة للعمليّة التّعلّمية أو عناصر التّداوليّة للتّواصل، وعليه يمكن ذكر النتائج المتوصل اليها كالآتي:

ـ عمليّة التّعليم تقوم على التّواصل بين المعلّم والمتعلّم، وتستغل المواقف الكلاميّة، مما يجعل التّداولية تفيد في تعليميّة اللغة كمبحث لساني وتجلّياتها فيها (أفعال الكلام، الإشاريات، الاستلزام الحواري) فقط مع غياب المصطلح.

ـ استفادت التّعلّميّة من تواصليّة اللّغة بحيث أنّ عمليّة التّعليم تقوم على التّواصل بين المعلّم والمتعلّم في سياق محدّد بغية الوصول إلى المعنى الصّحيح في رسالة ما.

ـ نجاح التواصل من نجاح العمليّة التّعليميّة، ذلك أنّ المقاربة التّداوليّة هي السّبيل الأنجع في التّعليم.

ـ تطبيق هذا العنصر التّداولي مع تنمية الكفاءة اللغوية لمهاراته وتعزيز استجابات المتعلّمين وإدارة المناقشة الجماعيّة هو الذي ينجح العمليّة التّعليميّة.

قائمة المصادر و المراجع:

1ـ أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليميّة اللغات، ديوان المطبوعات الجزائرية، الطبعة الأولى، 2009.

2ـ إدريس مقبول، الأفق التداولي، نظرية المعنى و السياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2001.

3ـ أفنان دروزة، النظرية في التدريس و ترجمتها علميا، دار الشروق، الأردن، ط1.

4ـ أنطوان صياح، تعليميّة اللغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2014.

5ـ ايشيهارا، و كوهني نوريكو ، أندرو، تعليم التداولية وتعلمها، تر:سعد محمد القحطاني، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، 2015.

6ـرايص نور الدين، نظريات التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، ط 01، 2007.

7ـ ساسي عمّار،اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم، المنهج الخصائص، التعليم، التحليل، عالم الكتب الحديث، 2007.

8ـ عبد اللطيف الفارابي وعبد العزيز الغرضاف، التدريس بالهداف وبيداغوجيا التقييم ،سلسلة علوم التربية، ع 6. سنة 1991.

9ـ عبد اللطيف فؤاد ابراهيم، المناهج أسسها و تنظيماتها و تقويم اثرهامكتبة مصر لطباعة الأوفست، 1979.

10ـ عبد القادر بن عسلة، يراجع تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي، مخبر اللغة العربية، جامعة وهران، ط2006.
11- محمد يحاتن، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر.
12ـ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 01، 2011.
13ـ هادي نهر، الكفايات التواصلية والاتصالية، دراسة في اللغة والإعلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2003.

الهوامش

[1]– إدريس مقبول، الأفق التداولي، نظرية المعنى و السياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 54.

[2]- ساسي عمّار،اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم، المنهج الخصائص، التعليم، التحليل، عالم الكتب الحديث، 2007،، ص 87.

[3]- عبد اللطيف الفارابي وعبد العزيز الغرضاف، التدريس بالهداف وبيداغوجيا التقييم ،سلسلة علوم التربية، ع 6. سنة 1991، ص 21.

[4]- المرجع نفسه، ص 55.

[5]- ايشهارا، و كوهني نوريكو ، أندرو،2015، تعليم التداولية وتعلمها، ترجمة: سعد محمد القحطاني، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ص34.

[6]- المرجع نفسه، ص 14.

[7]- أفنان دروزة، النظرية في التدريس و ترجمتها علميا، دار الشروق، الأردن، ط1، ص35.

[8]- ينظر: عبد اللطيف فؤاد ابراهيم" الفروق الفردية هي اختلاف التلاميذ فيما لديهم من قدرات ومن استعدادات فطرية و اخرى مكتسبة" المناهج أسسها و تنظيماتها و تقويم اثرهامكتبة مصر لطباعة الأوفست، 1979، ص46.

[9]- عبد القادر بن عسلة، يراجع تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي، مخبر اللغة العربية، جامعة وهران، ط2006، ص07.

[10]- ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليميّة اللغات، ص 142.

[11]- محمد يحاتن، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ص 46.

[12] - المرجع نفسه، ص 47.

[13]- إدريس مقبول، نظرية المعنى والسّياق في الممارسة التراثية العربية، ص 24.

[14]- هادي نهر، الكفايات التواصلية والاتصالية، دراسة في اللغة والإعلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2003، ص 89.

[15]- المرجع نفسه، ص 89

[16]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 01، 2011، ص 12.

[17]- تعليميّة اللغة العربية، أنطوان صباح، ج 1، ص 45.

[18]- المرجع نفسه، ص 46.

[19]- رايص نور الدين، نظريات التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، ط 01، 2007، ص 316.

[20]- المرجع نفسه، ص 315.

[21]- إدريس مقبول، الأفق التداولي، نظرية المعنى و السياق في الممارسة التراثية العربيةص56.